www.marocplurie.com

المملكة المغربية
الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول
المكلفة بالإسكان والتعمير
مديرية الهندسة المعمارية

التراث وروح المجال
تطوان

التراث وروح المجال
تطوان

فهـــرس

مقدمة 5

السيرة الذاتية للأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي 8

رحلة بتطوان عبر الصورة والتعليق 10

دليل لمواقع الصور الفوتغرافية 108

تشكرات 110

تـوطـئـة

تتشرف مديرية الهندسة المعمارية أن تقدم سلسلتها الجديدة "التراث وروح المجال" بهدف المساهمة في دعم الرصيد الحالي للأرشيف المتعلق بالتراث المعماري من جهة، ومن إبراز البعد الأساسي وتجلية المكامن الخفية التي تختزلها كل هندسة معمارية. إضافة الى أنها تأتي لتعزز السُّنة الحميدة التي دأبت المديرية على إنجازها منذ سنة 1999. وذلك حين أصدرت أعداداً من سلسة حوارات حول المدينة وأخرى من سلسلة دفاتر الهندسة المعمارية.

ولتكوين أرشيف مستقبلي يهم التراث المعماري، تم الاعتماد في إعداد هذه السلسلة على صور فوتغرافية التقطها مصور محترف هو السيد ميشال ناشف المعروف بإحساسه المرهف تجاه كل ما ينم عن الحضارة الإنسانية، لاسيما ما يتعلق منها بالمجال المبني بمختلف مكوناته وخاصة التراث المعماري.

وقد عهد إلى السيد ميشال ناشف القيام بتغطية فوتغرافية لما يناهز ثلاثين مدينة تاريخية وضواحيها، وهي ما يطلق عليها "بالمدن المؤسسة" التي كانت لها حدود جغرافية وسوسيولوجية ملموسة، وأحياء مهيكلة ومسالك مصنفة ورجالها الصالحين... وإلى يومنا هذا لازالت تلكم المدن تختزل القيم المشتركة والمستوى المعرفي والحضاري لأناس خلفوا آثارا ستظل شاهدة على فنيتهم العالية المستوحاة من روح المجال الذي احتضنهم.

وإذا كان التعليق المصاحب للصور المأخوذة بطرق تقليدية أو بالنمط الرقمي الحديث، يعطي فكرة عن الموقع الجغرافي لبناية أو فضاء سوسيولوجي ونبذة عن تاريخهما، فإنه يبقى غير كاف مهما بلغ المستوى الفني للصور والظروف الطبيعية الملائمة لالتقاطها، للتعبير التام عن العلاقة القائمة بين الإنسان والتراث وروح المجال

إنه لمن المؤكد ضرورة القيام بمجهود إضافي لإعطاء مزيد من التوضيح عن قيم تظهر ملموسة، لكنها أبعد من ذلك، حيث تحمل معان لا مادية. والتساؤل المطروح هو كيف يمكن ضبط وتحديد معنى إضافيا لا يمكن تحديده ويصعب تلمسه أو التقاطه وتبليغه، كما يتعذر اختزاله في كلمة واحدة أو نص واحد أو أي شكل من أشكال التعبير.

لقد كان الغرض من إعداد هذه السلسلة هو رفع التحدي، والعمل على إظهار التراث المشترك والروح التي يختزلها كل مجال الأمر الذي دعا إلى إشراك مجموعة من الكتاب من منابر علمية وأدبية واختصاصات مختلفة، الذين شرفوا مديرية الهندسة المعمارية بمساهماتهم البناءة في إغناء هذا المجهود.وما تناغم وتناسق التعاليق التي ساهم بها هؤلاء الكتاب إلا برهانا على مستوى تفاعلهم مع الفضاءات والصور التي جعلوها تنطق بتعاليقهم عليها، حيث خلفوا صدىً يعكس إحساسهم المرهف الصادق عن قراءتهم لهذه الصور والفضاءات مما أدى إلى طرح مزيد من التساؤل بدل تقديم حلول جاهزة.

وفي محاولة أولى من نوعها، فقد اشتغل كل كاتب على حدة انطلاقا من المادة الفوتغرافية، دون أي قيد أو شرط مسبق، حيث عملنا بكل أمانة على تبليغ مضمون ما جادت به قرائحهم واحترام اللغة التي تم اختيارها لكتابة تعليقهم والتسلسل الشكلي للنص وترتيب الصور مع النزول عند رغبتهم في إضافة بعض الصور المعبرة عن مجالات أخرى تم إغفالها.

إن الحرية في التعبير والشكل، إضافة إلى الإفادات المختلفة التي قدمتها النصوص الغنية والمتنوعة في طرق سردها وخصوبة تصورها وشاعريتها، قد أضفت على كل تعليق نكهة خاصة حسب الكاتب والمدينة المعبر عنها، باعتبار كونها إحدى المقاصد المرجوة من إحداث هذه السلسلة.

ولعله يسهل فهم بعض المرافق العمومية المؤثرة في إطار عيش فضاء مبني لمدينة معينة كشبكة للطرق أو للتطهير أو للإنارة أو نمط النقل العمومي، غير أنه يصعب إدراك المجال المشترك والانخراط فيه أو الإقصاء منه، كما يصعب إدراك التضامن الجماعي أو الذاكرة الجماعية أو الإحساس بالانتماء لقيم خاصة أو بإطار عيش معين.

لقد أصبح من الواضح جدا أن ساكنة العالم سيتمركز معظمها في تجمعات حضرية، وذلك على المدى القصير أو المتوسط. وأن الساكنة المغربية ليست بمنأى عن ذلك، رغم أنها اليوم تتوزع بشكل متساو على الوسطين الحضري والقروي، مما يدعونا إلى البحث بجدية وفعالية عن سبل إرساء تمدن مواطن لا ينحصر في معطيات كمية تتعلق بالإطار المبني- الذي هو في الآن نفسه إطار عيش الساكنة- بل يجعل البعد الإنساني في صدارة الأولويات. ويقتضي ذلك إرساء قواعد قانونية مؤسساتية والوقوف على النتائج التي ستعكس مدى انصهار وتفاعل الساكنة مع التمدن الحضري أو ستعبر عن وجود شرخ اجتماعي يفعل التفكك والإقصاء.

ونأمل أن تجد المجهودات المتظافرة، التي تبذل في إنجاز كل عدد من هذه السلسلة، صدى إيجابيا لدى كل قارئ، وأن تعمل على التأثير في مخيلته أو تلهم شاعريته لاكتشاف حمولة التمدن التي تختزلها كل مجموعة من الصور كما نرجو أن تساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية التي نسجت لإرساء تمدن معاصر وفق ما جاء في الخطاب السامي لجلالة الملك محمد السادس نصره الله يوم 20 غشت 2004 بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب في تعريفه للمواطن المغربي حين قال جلالته:

"فأن تكون مغربيا معناه الجمع بين التشبع بثوابت الهوية المغربية الموحدة، الغنية بتعدد روافدها، وتقاسم القيم والتطلعات المشتركة للأمة، وبين التفاعل الإيجابي مع مستجدات العصر والانخراط في مجتمع المعرفة والاتصال".

السيرة الذاتية للأستاذ
جعفر إبن الحاج السلمي

الأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي أستاذ كرسي بجامعة عبد المالك السعدي، وهو من مواليد مدينة تطوان سنة 1962، حاصل على دكتوراه السلك الثالث من جامعة السوربون بباريس سنة 1986، وكذا دكتوراه الدولة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، سنة 1995.

موازاة مع انشغالاته بمجال التدريس والبحث بعدة جامعات وطنية، ينشط الأستاذ جعفر ابن الحاج بعدة جمعيات ومؤسسات تعنى بالأبحاث في ميادين مختلفة، خاصة منها اللغة والعلوم الإنسانية، والتاريخ المغربي والأندلسي والأسطورة والتراث وتاريخ الأديان والحضارات الشرقية، وتحقيق المخطوطات العربية.

وبجمعية تطاون-أسمير التي يشغل بها منصب كاتب عام لنادي منشوراتها، قام الأستاذ بإصدار مجموعة من المؤلفات خصصت لتحقيق التراث المغربي والأندلسي، وصناعة الدواوين الشعرية المغربية وكتابة التراجم. كما نشرت له عدة كتب ومقالات علمية بعدة مجلات وطنية ودولية. كما تم تعيينه من طرف صاحب الجلالة محمد السادس نصره الله في ربيع من سنة 2004 عضوا بالمجلس العلمي لتطوان

ألا قل لتطول مقالة ذي عذر

فتبرهاجه من ساكنيها هوى عذري

أيا بلدة حن الفؤاد لذكرها

كما حن لهيذو فراخ إلى الوكر

وياجنة من كل غيم وجنة

رأت اعيني الأنهار من تحتها تجري

يمينا بما ألبست من حلل البها

وما فيك من زهر، ومن أوجه زهر

لقد حزت حسنا باهرا وشمائلا

أرق من أنفاس الشمائل إذا تسري

بلاد إذا أخبرت عنها وبحرها

فقل ما تشا فيها، وحدث عن البحر

حللت بها صفر اليدين من الهوى

فأمسيت من غزلانها عامر الصدر

وأصبحت في صدر المحبين قدوة

ولو لم أجئ تطوان ما كنت في الصدر

محمد بن الطيب العلمي، في الأنيس المطرب : 276

"إذا علم هاذا، مع ما علم سالفا من موقعها وكونها مبنية في حجر جبل أرسى، وعلى حجارته، اهتدى الواقف على ذالك بمجرد فكرته، إلى أن هواء هاذه المدينة بالطبع يكون جيدا موافقا للصحة. وهو كذالك لولا العارض والعارض الذي يؤثر في جودة هوائها، هو جريان المياه الغزيرة، سواء كانت مطلقة أو مضافا تحت أبنيتها، مع ما أضيف إلى ذالك من وجود البحر في جهتها الشرقية، وجبال بني حزمر الشاهقة في جهتها الجنوبية، وجبل أرسى الشامخ في جهتها الغربية. فتصعد من تلك المياه أبخرة كثيرة تؤثر في سكانها، بل وفي نباتها، رطوبة كبيرة تكاد تقضي على حياة الجميع. وتقوي تلك الرطوبة الرياح الشرقية، إذ تأتيها حاملة تيارات بحرية. فتصير المدينة بين رطوبة أرضية، وأخرى سماوية ؛ تكون منها سحب ربما أمطرت مطرا كثيرا، وربما أمطرت مطرا يسيرا يسمى لغة وعرفا بالندى. وناهيك بهاذه الرطوبة تأثيرا في الصحة. ووجود الجبال في ناحيتي الجنوب والغروب، يصد هبوب الريح التي تذهب بتلك الرطوبات، ويرد أشعة الشمس على الأرض، فيعين على قوة رطوبة تكل الأبخرة المتصاعدة. وأحسن الرياح الموافقة لصحة سكان البلد، الريح الشمالية، لأنها، وإن كانت تهب من ناحية بحر سبتة، فإنها لمرورها على الجبال والأراضي الصحيحة الحجرية، تكتسب صحة وجودة تفيض على السكان من بركتها، فتنشف الرطوبة الحاصلة في المدينة، وتؤثر في الصحة تأثيرا جيدا".

عمدة الراوين : 200/1.

"بَعد 90 عاما تقريبا من خرابها الواقع عامَ 1490، أو بعد ذالك بقليل، عمرت البلدة عمارة جديدة من طرف القبطان أبي الحسن، علي المنظري الغرناطي. ويظهر من كلام الناصري (1315) أن البلدة لم تكن خربت تماما، وإنما فر عنها أكثر أهلها إلى بلاد البربر، وبقي نزر يسير.

وذالك أن بعض المهاجرين من الأندلس، وصلوا إلى مدخل وادي مرتيل، فأعجبهم الموقع، فوجهوا وفدا إلى السلطان محمد الشيخ الوطاسي بفاس، حيث قابلهم مقابلة حسنة، وأجابهم وساعدهم على طلب بناء البلدة والسكنى بها، وعلى بناء استحكامات البلدة وأسوارها وأبراجها وقصبتها، لمدافعة الريفيين الذين كانوا يهاجمونهم ويغصبون أمتعتهم، أي بني حزمر الجبليين. وأمر عليهم الرئيس الذي انتخبوه، وهو أبو الحسن المنظري، الذي كان فيما يقال أحد رفقاء ابن الأحمر سلطان غرناطة.

ولما أتموا بناء البلدة، شرعوا في جهاد برتغال سبتة وبلاد الهبط، بين القصر الكبير والقصر الصغير، حتى أسروا منهم نحو 3000 أسير، استعملوهم في إكمال عمارة مدينة تطاوين. وهاكذا استمروا في الجهاد مع برتغال هاذه النواحي، كما كان أهل ازمور مشتغلين بجهاد برتغال مازغان، أي الجديدة. ودخول البرتغال لسبتة كان عام 1414 مسيحي، أي عام 818 هجري، كما من واعلم أنه وقع خلاف بين مؤرخي المسلمين ومؤرخي الإصبنيول. فالناصري (1315) يقول إن بناء تطاوين كان قبل استيلاء الإصبان على غرناطة، مستندا لأخبار أهل تطاوين. ومؤرخو الإصبان يذكرون أن بناءها كان بعد استيلائهم على غرناطة، وهو المقبول عندنا، لأن رواية الناصري (1315) عن أهل تطاوين، يحتمل أن تكون مبنية على قصد الافتخار، وعدم الاعتراف بغلبة الإصبان عليهم.

أقول: هاذا تعصب من هاؤلاء المؤلفين بلا موجب. وأهل مكة أدرى بشعابها.

لاكن كلام سيدي العربي الفاسي السابق، يدل على صحة هاذه الدعوى، لأنه ذكر أن بناءها كان بعوْه عام 898، وغرناطة أخذت عام 897. ثم إن الناصري ذكر أن تاريخ بناء هاذه البلدة كلمة "تفاحة"، أي عام 889، الموافق عام 1491. ومن العجب تأريخ أهل تطاوين بناء بلدتهم بهاذا التاريخ الإفرنجي، إذ كيف يهتدي الشاعر العربي لاستعمال كل شيء، حتى يضم في شعره اسم فاكهة عزيزة عليه، يؤرخ بها ؟.

أقول: وهاذا تعصب فادح، إذ العرب هم أهل كل لطف وحضارة، وعنهم أخذها الغير.

وذكر الناصري (1315) أيضا أن بناءها كان بمساعدة الشريف مولاي علي ابن راشد.(917)

ومما يذكره أهل تطوان، أن منارة الجامع الكبير، أي جامع القصبة، والمنارة هي برج سوق الحوت، كانت مبنية أولا قبل البناءات كلها لحراسة البلدة من العدو، وأنه لأجل ذالك، كان يقال لها تيطو ا ن

عادة الإعلام بوصول المراكب : ومما يذكر أيضا أن سيدي المنظري، باني القصبة القديمة، التي لا زالت إلى الآن معمومة قرب جامع القصبة، في وسط البلد، كان يبقى دائما فوق السور حارسا، وبيده نفير طويل. فإذا رأى مركبا صغيرا في البحر، نفخ فيه خمس مرات. وإن رأى مركبا متوسطا نفخ سبع مرات، وإن رأى مركبا كبيرا أو حربيا نفخ تسع مرات. وإن هاذا العمل بقي جاريا مدة طويلة بعد انقراض المؤسسين الأولين".

أبو العباس أحمد الرهوني، عمدة الراوين : 1/ 173- 174.ض

"في صفة هاذه المدينة المباركة : اعلم أن هاذه المدينة مدينة غراء، نقية بيضاء، كثيرة الخيرات والأنعام، والبركات والحسن والجمال والبهجة والدلال رونقها جديد، وتبصر من بعيد. لا يستوحش داخلها، ولا يكذب قائلها. ذات انهار جارية، وعيون غزيرة سارية. كأنها جنة تجري من تحتها الأنهار وكمكة تنفي عنها الفجار"

عمدة الراوين : 201/1.

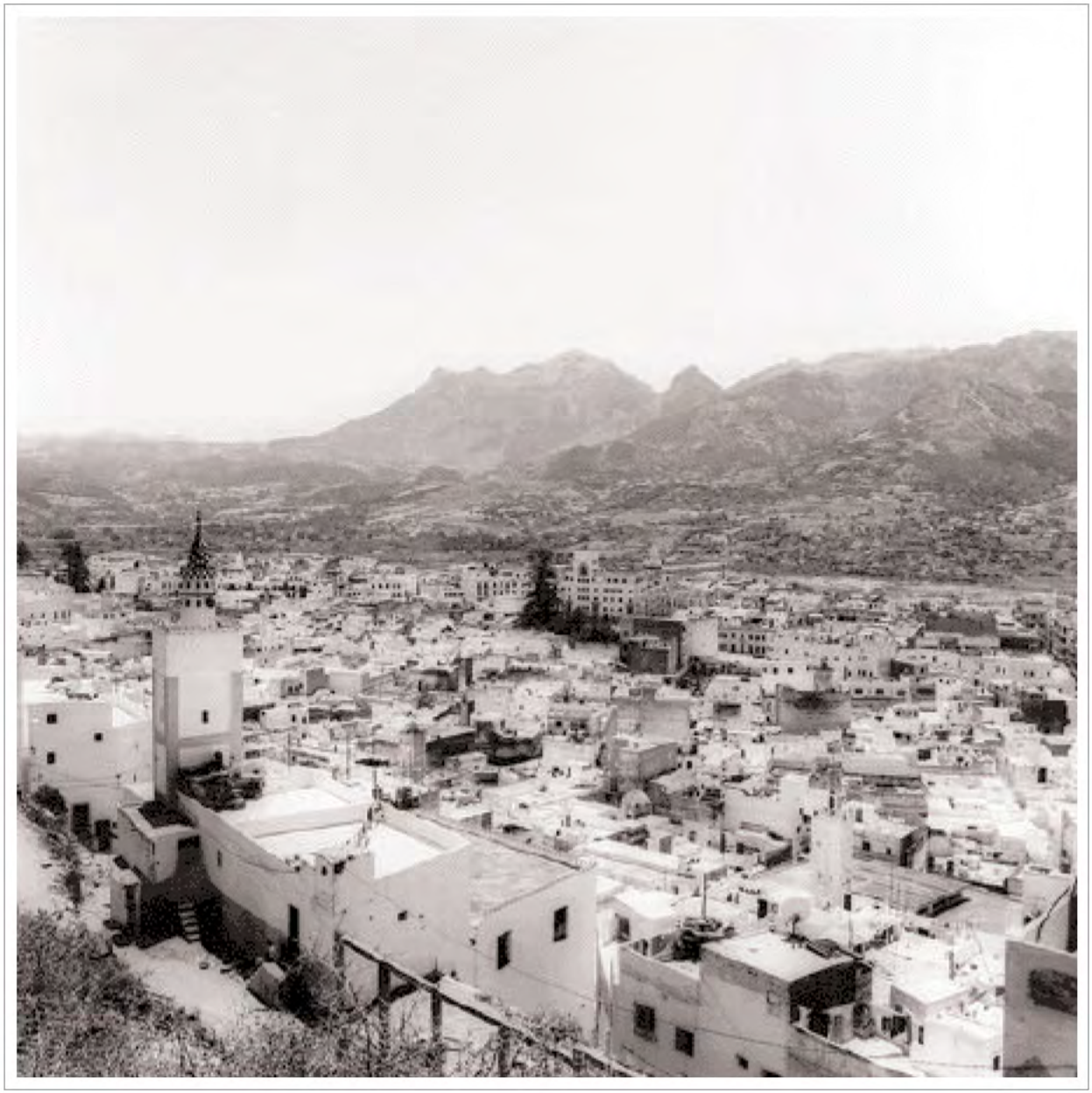

"ثم إن خارجها يقسم على أقسام وحومات، كداخلها. فخارج باب النوادن كانت فيه غراس في حجر جبل أرسن. وفوقها جنانات في موضع يسمى (راس القراور). وهاذا اللفظ، جمع (قرار)، بضم القاف، وتشديد الراء الأولى المفتوحة. وهو لفظ بربري؛ اسم لموضع مبيت البقر، أو محرف تحريفا مولدا عن لفظ قرار، أي استقرار، مرادا به محل الاستقرار.

وعن يسار الخارج من باب النوادن، كانت فدادين تزرع، ثم يجعل فيها بالصيف أنادر الدراس. ولذالك سميت باب النوادن، جمع نادر، بمعنى أندر. وعن يمينها إلى عقيبة المرة، تحت القراور، كانت عدة محافر، أي كهوف بها دور الصنعة، أي صنعة... وقد صار الآن راس القراور مقبرة للمسيحيين. وما تحته قشلات لعساكر الاحتلال. ولم يبق هناك إلا بعض محافر للفخارين."

عمدة الراوين: 1/206.

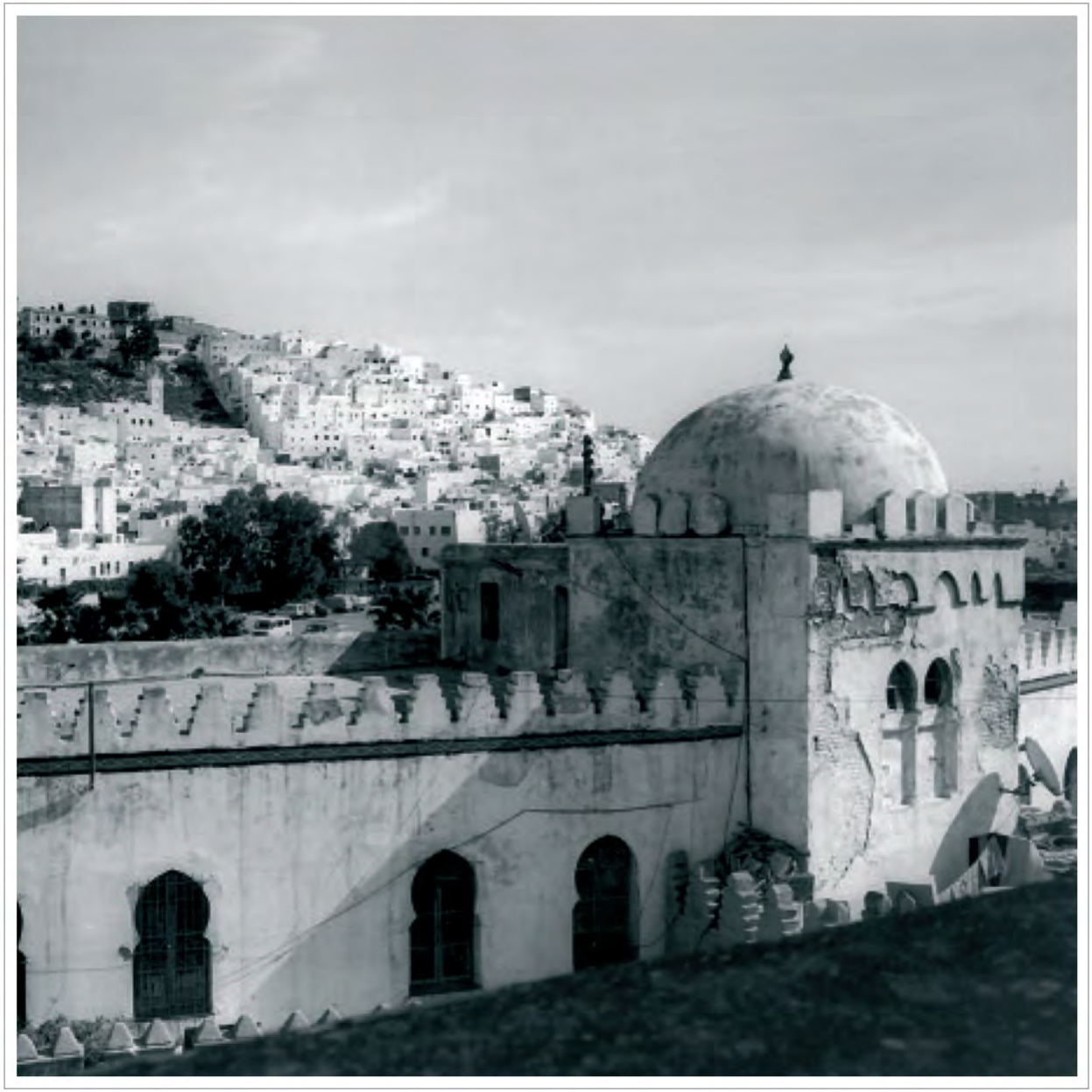

"إذا دخل فصل الربيع وذالك في 15 براير، خرج الناس إلى خارج البلد للقائه، وشم رائحة أزهاره. ثم أقاموا مواسم النزهة في كل غرسة وجنان على روائح الأزهار، ونغمات الأوتار وحفيف الأشجار، وأصوات الأطيار، وخصوصاً العندليب والهزار هاكذا كان الحال منذ أسست هاذه البلدة هاذه السنين. والله يفعل مايشاء".

عمدة الراوين : 237/2.

"ومنها الزاوية الناصرية قرب فندق النجار بناها ....قبل عام 1102.
ومنها الزاوية المرزوقية، حيث مدفن العلامة سيدي عبد القادر ابن مرزوق رضي الله عنه. بناها السلطان مولاي إسماعيل رحمه الله، في عام 1139.
ومنها الزاوية الحنصالية، حيث مدفن الولي الصالح، سيدي يوسف أحنصال، رضي الله عنه."

عمدة الراوين: 18/2.

"ولا يعلم تاريخ قدوم هؤلاء السوميين إلى هاذه البلدة، ولا سفرهم عنها، وغاية ما ذكره أهل البلد، أن السوميين هجموا على البرتغاليين وطردوهم عنها، وعمروها بعدهم. ثم لم يوافقهم هواءها، وأضرت بصحتهم رطوبتها، وشدة الغيوم الشرقية التي توالت عليهم، وأن الحميات والناموس التي أصابتهم بها، أفنتهم عن آخرهم، حتى لم يبق لسلفهم خلف.

والحاصل أن رواية سكنى السوميين لهاذه النواحي، كرواية عمارة البرتغاليين لها؛ لا صحة لها ولا دليل يوثق به عليها. على أنه يمكن أن يكون وصول السوميين لهاذه النواحي، ليس لطرد النصارى عنها، كما يذكر، بل لمنافع تجارية حملتهم على المجيء إليها، حسبما هو معروف ومشهور من أحوالهم التجارية، وإبعادهم الشقة في الأسفار إليها، أو لإعانة مهاجري الأندلس على بنائها وعمارتها، أو غير ذالك، أو يكونوا اتخذوها معقلا لمهاجمة البرتغال بسبتة، حيث إن البرتغال لم يثبت أنهم احتلوا بهاذه النواحي غير سبتة."

عمدة الراوين: 173/1.

"خص الله أهلها بخصائص شريفة، وخصال لطيفة، من تواضع ولين جانب، ومروءة تامة، وإسدال حجاب. يحبون الشرفاء، ويعظمون العلماء. من قابلهم بالتواضع كانوا له عبيدا، ومن أراد التكبر غادروه طريدا. لا يعظم في أعينهم غني لغناه، ولا يصغر فقير ببلواه. كلمتهم مجموعة، وأحكام الشرع عندهم مسموعة متبوعة. جبلوا نساء ورجالا، وكهولا وشبانا وأطفالا، على حب العدل والإحسان وطبعوا على ذالك، نعمة من الملك الديان

أما مروءة نسائهم، وعفاف أبنائهم، فهم على الوصف الأكبر والنعت الأشهر إلا ما قل من الدخلاء، الذين هم أصل كل شر قبيح وبلاء. أما أهل الوطن الأصليون فهم في الغالب من كل سوء بريون"

عمدة الراوين : 201/1.

"وقد سميت هاذه الأبواب بعد الاحتلال باسماء أخرى؛ فسميت باب النوادر (لابويرطا ذي فاس)، أي باب فاس، وباب التوت، (لابويرطا ذي لهنخير)، أي باب لهنجة، وباب الرمون (لابويرطا ذي الماز)، أي باب البحر، وباب العقلة، (لا بويرطا ذي الرينا)، أي باب الملكة، وباب السعيدة، (لابويرطا ذي سعيدة) وباب السفلي، وباب المقابر، (لا بويرطا ذي سبتة)، أي باب سبتة."

عمدة الراوين : 203/1.

"حومة العيون وسميت بذالك لكثرة عيون الماء بها. وهي عبارة عما بين قوس أصوفي الذي سقط الآن وعوض عنه قناطر من حديد، فاتسع الطريق وعلا السقف، وبين باب النوادر وقوس دار البونبة. وأكبر هاذه الفروع، فرع البلد. وله أبواب ثلاثة. باب المقابر والباب السفلي ويسمى أيضاء باب الجيف، لخروج الجيف منه، جمع جيفة. وكان الباب السفلي قبل باب الجيف، هو الباب الذي تحت قبو روض الحاج عبد الكريم الرزيني برأس السلوقية، إذ كان ما قبله في القرن العاشر غراسا خارجة عن السور، وباب السعيدة، أي باب الزنقة السعيدة، لدفن سيدي السعيدي إزاءها.

وللفرع الثاني بابان: باب الرمون وباب العقلة. وللفرع الثالث باب واحد، وهو باب التوت. وللرابع باب واحد، وهو باب النوادر.."

"ولفظ الرباط، محرف عن الربض، وهو ما حول المدينة. وكان لهاذه المدينة حين بناها المنصور أرباض ثلاثة. الربض الأعلى، وهو الذي خصص للمقابر، والربض الأسفل، وهو المسمى الآن بالرباط السفلي.

والربض الثالث، هو الربض الذي بنيت فيه العيون والسانية. وكان يسمى بربض الأندلسيين، لأن الأندلسيين الذين خرجوا من الأندلس أخيرا من نحو عام 1000، إلى 1017، نزلت منهم فرقة بتطاوون، واختصوا بحومة العيون، أعلاها المسمى بالسانية، وأسفلها المسمى بالعيون"

عمدة الراوين : 1/202-203.

"حومة الأترنكات. وهي لفظة عجمية، معناها الرياح. ولعلها سميت بذالك لكثرة الرياح بشارعها الكبير... وهي عبارة عما بين قوس الحمام، بالسوق الفوقي، وقوس أصوفي، وهو الذي قرب الزاوية الفاسية، المقابلة للقنا الكبير، وقويس زنقة الكواش، والقوس الذي تحت دار الشرفاء العلميين، فوق دار البونبة، بدرب الوطية، إلى قوس باب الرواح."

عمدة الراوين : 1/202-203.

"حومة البلد، وربما قيل حومة الجامع الكبير أو حومة الصياغين، والكل اسم لمسمى واحد، وهو عبارة عما اشتمل على الجامع الكبير وأحوازه، والزاوية الريسونية وأحوازها، وجامع السوق الفوقي وأحوازه، إلى قوس الحمام، وجامع الغرسة الكبيرة وأحوازها، إلى باب الرواح، وجامع القصبة وأحوازه، إلى زاوية البقاليين، من جهة سوق الحوت، والقوس الذي أسفل الزاوية الناصرية."

عمدة الراوين : 201/1.

"ليس في أبنية تطوان ولا في مآذن مساجدها، شيء من الشموخ والعظمة. فالبيوت، مثل المساجد، تتسم بميسم البساطة والاتضاع. وهي لا تتجاوز الطابقين. سطوحها بيضاء، مثل جدرانها، وتكاد تكون متواصلة.

أما البيوت في الناحية الإسبانية، فهي أوربية ذات أربع طبقات أو خمس. فيها أمثلة حسنة الظاهر للفن الحديث في الهندسة المعمارية ... وفي أسواق المدينة القديمة، لا تشذ القاعدة الشرقية... تضيق وتضيق فتختفي كاللص في زقاق مظلم. ولاكنها في النظافة تشذ عن القاعدة. لا أوساخ ولا فضلات أمام الأبواب، ولا روائح في تلك الزنقات. إنها حقاً لعلى جانب بهيج من النظافة.

المغرب الأقصى: 131.

"وأما صدق الكلام، والوفاء بالعهد والذمام، فهو أمر ذاتي لهم، ولا يصدهم عنه كل من أراد خذلهم، حتى صار يضرب بهم المثل في البلاد، وانطبع في جبينهم بذلك غرة بين العباد:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

إن استأمنت تاجرهم، أزرى بالسموأل أو ساومت ءاجرهم، (كذا) لقيت منه نسيم شمأل وأما عذوبة الماء، وطيب الهواء، فقد مر لنا ما فيه كفاية من ذالك."

عمدة الراوين: 201/1.

"وهي مدينة الأحياء السكنية والتجارية والحرفية العريقة، والدروب الملتصقة الضيقة العتيقة، فلذلك كانت تلك الجوهرة المكنونة الساحرة التي حوت من الأسرار ما يلفت نظر الزائرين ويثير فضولهم لمعرفة الخبايا التي تختويها تلك الدروب الغامضة.
وهي مدينة الدور الأنيقة، التي تدل على أن حياة أهلها هي حياة البساطة والقناعة والوداعة وحسن الترتيب والتنظيم والتنسيق مع التفنن والتأنق في مختلف مظاهر العيش من مسكن وفراش وملبس ومأكل وصناعات فنون وغير ذلك، وهي مكا يقول أهلها مدينة " التاويل" حيث يقولون في المثل: "التاويل غلب التجارة"، ولعل هذا "التاويل" هو أبرز ما يسترعي إنتباه من يزور تطوان ويجتمع بأهلها لاول مرة."

الأستاذة حسناء داود.

حوارات حول المدينة تطوان بين الخصوصية والتراث العالمي

"أما دورها. فقد كانت أحصيت عام 1327، لما أريد إحداث ضريبة المباني، فكان عددها 2833. وقد أحدث منها إلى عامنا هاذا، وهو عام 1358، ما صاربه المجموع، نحو 3500 دار."

عمدة الراوين: 7/2.

"فأقام المنصور على بناء الأسوار، والقادمون مع الفرنالجيين يحرسونهم، إلى أن أكمل الأسوار الموجودة إلى الآن، محيطة بحومة البلد. وبنى داخلها دارا له، هي الآن قرب سوق الحوت ... تدعى إلى الآن دار السكة. وبنى بقربها جامعاً للخطبة، يسمى بجامع القصبة... وبنى فرنا للخبز قرب الجامع (ولا زال إلى الآن). وبنى حماما بقربها؛ يسمى حمام البلد. (ولا زال إلى الآن أيضا)، كما من وأقام الناس على بناء الدور ما بين الأسوار، إلى أن كملت البلدة.
قال: "وكان منشئها، أي الأول، رجلا حكيما. جعل لها مواضع الحرث من وادي بوصفيحة، إلى البحر، سقيا وبعلا، فالسقي منها كيتان والمنافع والمحنش، والدرديارة وأوهار وما والاها. والبعل دون ذالك.
وجعل الأرحي بقربها وداخلا فيها. وجعل الجنانات في الدور؛ بحيث لو بقيت على ذالك، لم تفتقر لأحد. ولما توفي سيدي المنصور، خالفوه وبدلوا وغيروا."

عمدة الراوين : 2/30-31.

ملاحم تطوان:

"وسببه أن الملك فرديناند الكاثوليكي لم يقف مع الشروط التي كان شرطها المسلمون عند تسليم غرناطة، ومن جملتها حرية الأديان بل نقضها واضطهد معتنقي الأديان المخالفة للدين المسيحي، وابتدأ بتعذيب اليهود عام 1492. فهاجروا للمغرب، كما هاجر أكثر سكان الأندلس المخالفين للدين المسيحي منها إلى إفريقيا الشمالية والمغرب الشمالي.

ولو أن الملك حافظ على الشروط واعتبرها، ما جرى حادث مثل هاذا، لأن سكان الأندلس لم يكن لهم تعصب ضد النصارى فلو أمكنهم أن يعيشوا مغلوبين لهم، ومسالمين لهم، لاختاروا ذالك على مبارحة أوطانهم ومعاقل عزهم، وتركها لغيرهم، بخلاف البربر الذين لا نسبة بينهم وبين الأروباويين أصلا، إذ ما كانوا يعرفونهم إلا سماعا، مع خرافات مبالغ فيها.

غير أن الإصبان الغالبين، حملتهم التعصبات الدينية على إخراج المخالفين لهم في الدين من بلادهم، وأسسوا لذالك مجلس الإنجيسيون أي مجلس تحقيقي تحت أكبر رئيس ديني توركمادا، فحكم ذالك المجلس بالإعدام والطرد على اليهود عام 1492. وبعد ذالك حكم على المسلمين بمثل ذالك عام 1499."

وبسبب هاذا، صارت تطوان ملجأ للمسلمين واليهود الهاربين من عقاب الإنكيزسيون بالأندلس، ورجح اليهود حكم المسلمين على ظلم الأروباويين، وتركهم المدنية المعتادة في أوروبا.

ليس لنا علم تام بما كان عليه حال اليهود مع المسلمين بالأندلس لاكن الظواهر تفيد أن أحوالهم لم تكن في اضطراب تحت حكم المسلمين في ابتداء القرن الخامس عشر وكذا لا علم لنا بابتداء عمارتهم في المدن الغربية المسكونة بالمسلمين المهاجرين من الأندلس

نعم. بلغنا أن اليهود كانت لهم أهمية عظيمة في إصبانيا في القرون الوسطى، وأنه كان لهم تداخل في السياسة. وذالك بسبب إلحاق الإنكيزسيون التهم بهم وفقا للأفكار المالية. وكذالك وظائف اليهود في المغرب، كانت في درجة الأهمية. أما سفلتهم، فيذكرون من أخبار اضطهاداتهم ما لا صحة له".

عمدة الراوين : 1/176-177

الملاح

"إن أسلافنا، معشر اليهود الإسبانيين، هاجروا من فلسطين، قبل تخريب الهيكل الثاني، فلم يشهدوا حصار القدس الفظيع، ولا شهدوا مذلة التقوس تحت نير المنتصر المقطعة للنفوس، وإلى غاية الرحيل عن إسبانية، لأجل منشور مارس 1492، كان تاريخهم براقا... وخلال مقامنا الطويل في إسبانية، حقنت مصاهرات متعددة دما يهوديا في العروق الإيبيرية، ودما لاتينيا في عروقنا...

نحن السيفرديين، نتسمى غالبا بأسماء إسبانية، مثل بيرين وسوطو وطليدانو."

بلانش ابن الدهان، مزال طوب: 112-113.

"الجامع الأعظم. وهو جامع جديد جيد. بناه السلطان المقدس مولانا سليمان، وفرغ منه عام 1223، كما هو مكتوب بأعلى بابه.
وكان قبل ذالك مسجدا صغيرا، ومع ذالك كان هو الأعظم أيضا. وحوله مدرسة لسكنى الطلبة، أدخلت الآن في الجامع. وهو جامع تنشرح به النفوس، وترتاح فيه الأرواح. وقد خصه الله برونق ونور؛ الله أعلم بسر ذالك فيه.
وخطيبه الآن الفقيه العلامة الشريف، سيدي الحاج الحسن، ابن شيخنا العلامة المقدس، سيدي الحاج المفضل أفيلال
وخطب فيه قبله، شيخنا العلامة السلوي، وقبله الفقيه الحائك."

عمدة الراوين : 14/2.

"جامع السوق الفوقي وهو جامع جديد أيضا. جدد بناءه السلطان المنعم، مولانا عبد الرحمان، وفرغ منه عام 1273.
ولما وصل لتطوان عام 1241، صلى فيه إماما، وقرأ الحزب مع الحزابة فيه. وكان جلوسه في محرابه مستقبلا للقبلة، ودائرة الحزابة وراءه.
وأصل هاذا الجامع قديم؛ يظهر أنه من بناء الغرناطيين الذين لما هاجروا إلى تطوان، سكنوا سفح الجبل، من باب المقابر إلى باب النوادر. فقد ذكر السكيرج أن الولي الصالح، سيدي الحاج علي بن محمد بركة، كان يؤم ويخطب ويعظ فيه، كما يأتي. ويقال إن نفس كرسي الواعظين الذي به، هو الذي كان أيام سيدي بركة، وعليه كان يعظ الناس والله أعلم."

عمدة الراوين: 2/14-15.

"وأما الكتاتيب المسماة بالمسايد، فنحو أربعين.
وأما المدارس فمدارس العلوم الدينية مدرستان: مدرسة لوقش، ومدرسة ابن قريش غير أنهما عبارة عن سكنى طلبة العلم، لا عن محل التدريس ؛ فإن تدريس العلوم الدينية يقع عندنا في المغرب في المساجد، لا في المدارس...
وأما مساجدها، والمراد بها ما يشمل جوامع الخطبة، والزوايا والضرائح التي تقام فيها الصلوات الخمس فاثنان وخمسون"

عمدة الراوين: 10/2.

"ومنها زاوية القطب الكامل سلطان البر والبحر محيي الدين، سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني (561) رضي الله عنه.
وكانت أولا جامعا للخطبة في حومة الترنكات. ثم لما انتقصت البلدة من أطرافها، اتخذها أصحاب الشيخ المذكور زاوية لهم؛ يذكرون فيها أورادهم، ويعملون بها حضرتهم.
"وقد أسست فيها الخطبة ثانيا في عام 1352. وخطيبها الحاج عبد الله بن أحمد مراريش"

عمدة الراوين : 21/2.

"الزاوية الريسونية، ذات الأسرار الربانية. كانت أول فندق لأولاد لوقش وبابه يقابل باب جامع الربطة. لازال أثره ظاهراً إلى الآن وكان يباع فيه الجلد.

ثم نفذ للقطب سيدي علي ابن ريسون رضي الله عنه. ولما قربت وفاة القطب سيدي علي ابن ريسون المذكور رضي الله عنه، مر ببابه، ورمى بعصا كانت بيده في الموضع الذي به ضريحه الآن فدفن به هو وأخته السيدة لالا الزهرة....

ثم زاد فيه نجله القطب سيدي عبد السلام، رضي الله عنه، زاويته. وكملت عام 1274.

ثم وقعت فيه الزيادة التي زادتها بنات الحاج عبد الكريم بريشة، لجهة قبلة ضريح سيدي عبد السلام، رضي الله عنه، عام 1316.

"وفي أوائل عام 1351، أدخل فيه السيد الحاج العربي ابن الحاج محمد الدفوف، المارستان القديم المقابل لضريح القطب سيدي عبد السلام ابن ريسون رضي الله عنه، بعدما اشتراه من أحباس المنقطعين. وهنيئا له بذالك."

عمدة الراوين : 2/15-16.

"... ومنها ضريح الولي الصالح، سيدي محمد السعيدي، رضي الله عنه، فإنه يؤذن فيه للخمس، وتصلى به جماعة. وفيه أحزاب وأوراد وصلوات.

وقد كانت فيه قديما عمارة عظيمة؛ ربما كان منفردا بها قبل بناء الزوايا التي بتطوان وهو وما حوله، من بناء الباشا أحمد بن علي الريفي، في حدود 1150. وبالقبة التي بجانبه، عدة قبور تسمى قبور الشهداء."

عمدة الراوين : 19/2.

"أما إنقاذه الأسرى، فقد ذكر سيدي عبد السلام السكيرج، (1250) أن رجلا من آل البيت النبوي الشريف، من أهل تافيلالت، يسمى سيدي محمد الشريف، خرج حاجا وركب البحر في مسيره، فقبضه النصارى وأسروه. ولما بلغ أمه الخبر، عاهدت نفسها أن تقدم للبلد الذي به البحر، لتشتمه وتضربه، إذ أسر فيه ولدها؛ عادة جاهلية. فوردت تطاوون، وصارت تغدو للبحر كل يوم، وتسبه وترميه بالحجارة، ثم تروح للبلد. فبينما قيم ضريحه، رضي الله عنه، يريح سد الأبواب ليذهب لمحله ليلا، إذ وجد رجلا نائما، وأثر القيد من الحديد في رجله. فأيقظه وسأله عن حاله، فأخبره بأنه كان مأسورا، فأخذه رجل كهويل رقيق الثوب، وقال له: هنا نم. فنام حيث أمره. فأخبره بخبر العجوز، فقال: تلك أمي. فخرج القيم، فوجدها ذاهبة للبحر، فأخذ بيدها، وأدخلها ضريح الشيخ، فإذا هو ولدها. فلما عاينت هاذه الكرامة، التزمت خدمة ضريح الشيخ إلى أن توفيت، وصار ولدها إماما بضريح الشيخ، ويقرئ الصبيان بمكتب قرب الجامع الأعظم..."

عمدة الراوين : 25/4-26.

أمالت عن محاسنها الخمارا فغادرت العقول بها حيارى
وبثت في صميم القلب شوقا توقد منه كل القلب نارا
وألقت فيه سرا ثم قالت : أرى الإفشاء منك اليوم عارا
وهل يستطيع كتم السر صب إذا ذكر الحبيب لديه طارا
به لعب الهوى شيئا فشيئا فلم يشعر وقد خلع العذارا

ديوان العراق : 32. رقم 38.

دار الصنعة بتطوان: أسسها محافظ الآثار الإسلامية، الرسام الإسباني الشهير مريانو برتوشي، سنة 1929م. أقواس تقابل أقواسا، وفناء متناسب غاية التناسب، و زليج كأنه فرغ منه بالأمس القريب. خرجت من الصناع أصنافا وأجيالا. فما مصير هاذه الدار؟

"الزليج : ومن التجارة والصناعة أيضا صنع الزليج، أي الفسيفساء. ويعبر عنها (بتازلايجيت). وصانعها زلايجي.
وهي تجارة رائجة أيضا، لأن غالب الأغنياء يفرشون أراضي دورهم بهاذا الزليج. وكان قبل هاذا الوقت منفردا، بحيث من قدر عليه لا يتعداه لغيره. ومن عجزه عنه، يفرش داره بالبلاط المسمى بالمزهري. وهو مسدس الدائرة. ثم تارة يخللونه بالمثلث، المسمى بالنجوم. وتارة يقتصرون على المزهري. وسمي بذالك، لأنه على صورة المزهر، الذي هو آلة الطرب المعروفة.
أما الزليج، فهو عندهم انواع : المربع والفريخ، أي فرخ المربع. وهو أصغر منه. والقبرشن، أي نوع مشرف، وقائم ونائم، وغير ذالك من الأنواع التي يعرفها المولعون بها. وكان هاذا النوع من الفراش الأرضي للدور عاما في جميعها. ولا يزاحمه إلا الرخام المجلوب من بلاد الروم.
أما الآن، فقد زاحمه نوع آخر من الرخام المصنوع من البرصلانة، يسمى مسيكو يجلب من إصبانيا وغيرها، ونوع آخر يجعل في الحيطان؛ ويسمى اللوسة، يجلب منها ومن غيرها."

عمدة الراوين : 250/1.

"الذهب والفضة: ومنها الذهب والفضة، وهي أصناف.
الصنف الأول: المسكوك. وباعته يسمون بالصرايفية، أخذا من الصرف. وهي رائجة كثيرا والغالب الفضة والأوراق. وهي من تجارة البنوك. والمراد بالصرف فيها ما يشمل البدل والصرف إبدال الذهب بالفضة. والبدل إبدال الذهب بالذهب، والفضة بالفضة.
والصنف الثاني: المصوغات من النبايل أي الدمالج، أي الأساور والخواتم والخلاخل، والمفاتل، أي أخراص الأذن الرقيقة، والأخراص الغليظة، وغير ذالك، المرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة وغيرها، المصوغة من الذهب أو الفضة.
وهذا الصنف يبيعه في الغالب صانعوه، ويسمون بالصياغين، وكذا بعض أرباب الحوانيت الذين في الأسواق العمومية، كالغرسة الكبيرة. وهاذه التجارة، على قلة حوانيتها، رائجة جدا، لأنه لا توجد امرأة فقيرة أو غنية، إلا وفي يديها سوارلن من ذهب أو فضة، وفي أذنها خرص كذالك، مع ما تدخر كل واحدة في دارها من ذالك، مما يقدر مجموعه بنحو ثلاثة ملايين من البسيطات."
"... ومنها الأواني والفرش والأثاث، من الطناجر والصطول والغضارات والطواجين، والزلافات والطيسان، والصواني والبراريد، والبقارج، أي الأباريق المعدنية والصفرية، والكؤوس، والزرابي والتساريج، والطمارات والصطارم، والصناديق والكموضات، والمواكين الذهبية والفضية، والمعدنية واللوحية التي تعلق في الحيطان، وزجاجات الأنوار والمرايا البلورية وغيرها.
وهي تجارة واسعة جدا. تعادل تجارة المأكولات والملبوسات. وربما تفوقها، وخصوصا في هاذه الأزمان التي عم فيها الترفه والترف جميع الطبقات، وزاحم الضعيف القوي في جميع حركاته وسكناته، بما تيسر وكيفما تيسر"

عمدة الراوين : 1/248-249.

...ومنها الثياب وماذتها. وهي أيضا أصناف.

الصنف الأول: ثياب الصوف البلدية، من جلاليب وقشاشيب، وفراريش وحياك، وملاهيم وكرازي، وغير ذالك. وبائعو هاذا الصنف يسمون بالبرغازين، جمع برغان مأخوذ من التبرغين، وهو في عرف البربر، إبدال سلعة بأخرى. وهو ما يعبر عنه الفقهاء بالمعاملة. واسم هاذه التجارة (تابرغازت).

الصنف الثاني: ثياب الصوف الرومية، من ملف وتوبيت وصركة ومرينو، وغير ذالك. وبائعو هاذه الأمور لا يتميزون عن التجار باسم خاص.

الصنف الثالث : مواد هاذه الأمور، وهي الطعمة والسمن. وبائعو هاذه الأمور إما النساء الصانعات الغزالات، أو الجالبون لها من فاس أو مكناس، أو وازان أو رباط الفتح، أو مراكش.

الصنف الرابع : ثياب القطن من مرزايا ومركان وروان وشطروان، وغيرها من ثياب القطن الصفيقة والرهيفة. وهاذا الصنف يتعاطاه البزازون ولكنهم لا يسمون بهذا الإسم هنا، بل يعبر العامة عن باعة ذالك بأهل حوانيت الطرافين، لأن سوق الطرافين في القديم، انقلب في هاذا القرن للبزازين.

الصنف الخامس : مواد الصنف الرابع من قطن منفوش على هيئة الصوف، ويسمونه (الليفة)، بكسر اللام، ويجمعونه على (ألياف). ويقابل بالمغزول المصنوع، خيوطاً ملونة على ألوان شتى. ويعبر عن هاؤلاء بفاس وغيرها بالقطانين. أما عندنا، فلا يختصون بأكثر من حوانتي القطن. وربما عبروا عنهم بالعطارين، أي بائعي العطر، لأن أهل ذالك في الغالب يجمعون بين ما ذكر، وبين العطريات والتوابل. وكان لهذا النوع سوق خاصة، وهي المعبر عنها بتربيعة الجزائن وتحت هاذه السوق من سوق البطانة والصوف، إلى باب الغرسة الكبيرة من ناحية الصباغين. لا يباع في تلك الحوانيت كلها إلا القطن المنفوش.

الصنف السادس: الثياب الحريرية من أطلس ومويرة وكمخة وغيرها. وباعة هاذا النوع في الغالب هم باعة ثياب القطن.

الصنف السابع : الحرير المغزول المصبوغ الملون، والحرير الخام. وباعة هاذا المعبر بالعطارين أيضا. ثم إن الحرير الخام، يجلب الآن من بلاد الصين والجابون على طريق مرسيليا وغيرها. وقد كان الناس في القرون الماضية، إلى العشر الأولى من هاذا القرن، معتنين هنا غاية الاعتناء باستخراج الحرير من الدود. فكان جل الناس يغرس في جنانه أو غرسته عددا من أشجار التوت."

عمدة الراوين : 1/245-255.

"الدباغة. ويقال لها أيضا (تادباغت). وهي عبارة عن دبغ النعال وجلود المعز المسماة إن كانت بيضا بالزواني، لو حمرا بالوردي، وجلود الغنم المسماة البطانة، لأنه يبطن بها البلاغي وهي حرفة شريفة؛ أهلها ذوو دين ومروءة، وملازمة للصلوات في أوقاتها جماعة. وهم من الطبقة الوسطى في البلد. وهي تعيش صاحبها عيشة جيدة. وربما غني بها بعضهم."

عمدة الراوين : 1/223.

"وأقام المنصري حاكما إلى أن توفي عام 900 تقريبا. فتولى الحكم بعده الحاج علي الذيب. وبقي حاكما ما شاء الله، فطردوه، فخرج عن البلدة، وبنى بأعلى الجبل المطل على البلدة، قصبة يقال لها قصبة الذيب، إلى الآن، وحتى الآن كما أن أولاد الذيب لا زالوا هنا إلى الآن

وبنى أسفل القصبة نحو 500 دار هو ومن أراد البناء لنفسه. وهي التي يقال لها الطالعة. فيكون تأسيسها في حدود 900."

عمدة الراوين : 32/2.

"ومن كراماته أنه لما قدم راكبا على فرس له أشقر، أتته امرأة وقالت: إن ولدي ذهب لفريضة الحج، فأسر ببلاد الروم. فقال لها: اعملي لكلبتي هاذه إناء من الكسكوس، وعليها دجاجة تاكلها، وتسوق لك ولدك. فصنعتها، وأتت بها حضرة الشيخ. فوجدت الكلبة ماسكة دجاجة بفمها، من أحد جناحيها، وولدها واقف أمام الكلبة بعدد من الدجاج في يده، فأعطت الكلبة الإناء، وسألت ولدها عن القصة. فأخبرها بأن ذالك اليوم يوم عيد عند الروم، وإن ءاسره كان يقتل الدجاج ويرميه بالأرض، وهو يلتقطه له. فبينما هو كذالك، إذا بهاذه الكلبة أخذت دجاجة وهربت، فتبعها، فوصلت البحر، فصارت تمشي على الماء، فتبعها إلى أن وصل حضرة الشيخ، رضي الله عنه."

عمدة الراوين: 4/87-88.

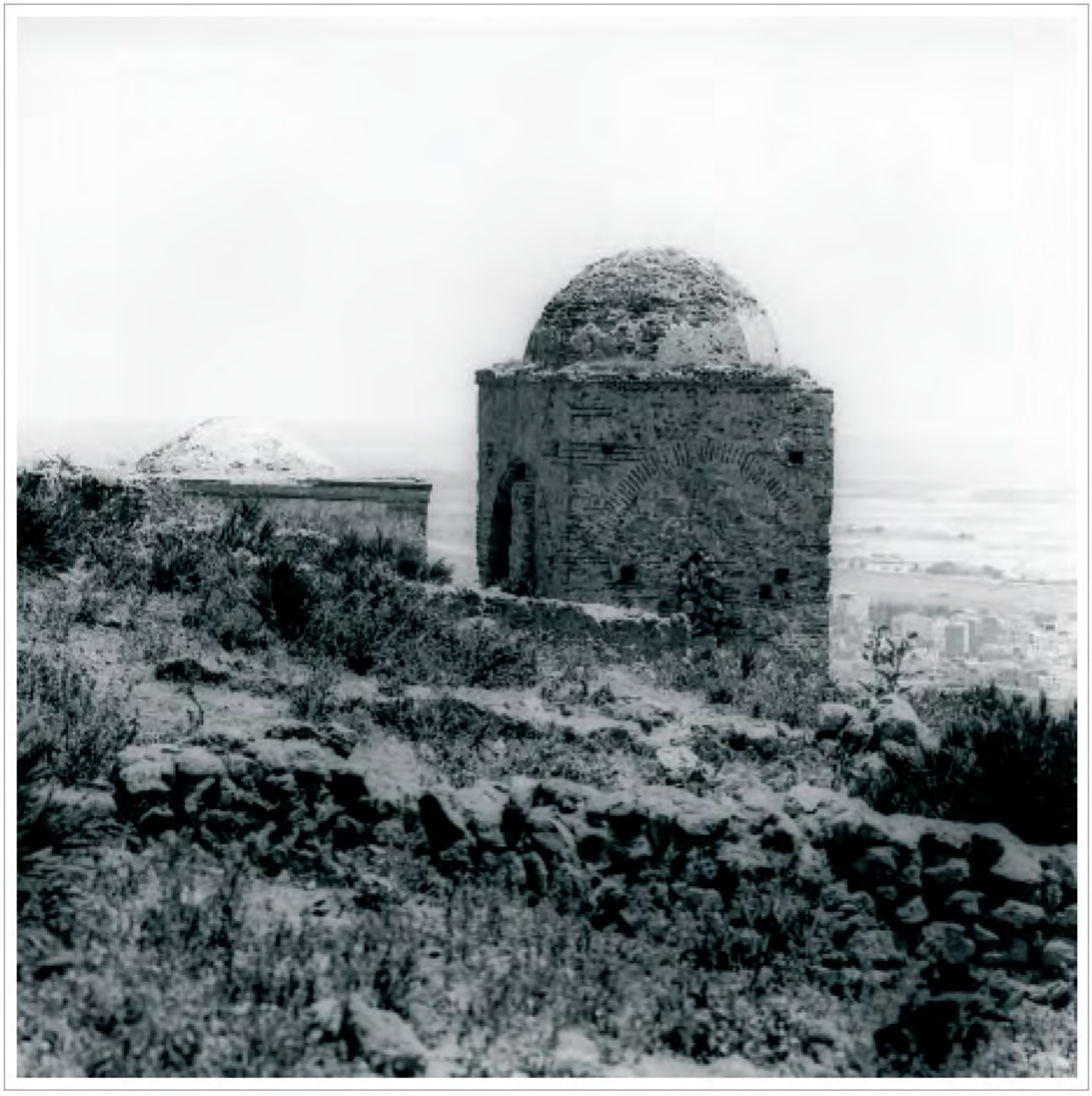

"تطوان صار مركز لليهود، ومنه سافروا للبلاد المغربية الأخرى وكانت لهم اليد في صيرورة تطوان بلدة كبيرة، بما عندهم من الاقتصاد والحزم، والجد في الأعمال، وحب السعي في اكتساب الفلس، ومعرفة الأشغال الكبيرة، وخصوصا الأشغال التي لا يعرفها أو يترفع عنها المسلمون وانضم اليهود المهاجرون من الأندلس لليهود المستوطنين قبلهم. وتعصب بعضهم لبعض، مثلما فعله المسلمون المغربيون مع المسلمين المهاجرين إليهم من الأندلس
ليهود تطوان أرقام بربرية صرفة، تدل على وجودهم بالمغرب قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها، كما يوجد بينهم ألقاب وأسامي بربرية، مع ألقاب وأسامي إصبنيولية. وكما يوجد ذالك كله في يهود الأندلس، مما يدل على أن بعضهم من بعض"

عمدة الراوين : 177/1

ساحة الفدان

"كانت الفدان هاكذا سمى أهل تطوان ساحتهم الشهيرة. ثم صارت ساحة إسبانية، أيام الحماية. ثم صارت ساحة الحسن الثاني، بعد الاستقلال ثم صارت ساحة المشور السعيد، بعد تغيير شكلها الأندلسي القديم، وتعويضه بشكلها الروماني الحالي وهاكذا الأيام. والبقاء لله وحده."

بوابة القصر الملكي

"كانت بوابة للمقيمية العامة الإسبانية. ثم صارت بوابة للقنصلية العامة الإسبانية. ثم صارت بوابة للقصر الملكي العامر لما أضيفت إلى دار الخزن قبل عشرين سنة. وهاكذا الأيام. والبقاء لله وحده."

"وقد أحدثت الآن حومة جديدة، مبنية بناء أوربيا عجيبا. وأحدثت فيها دور شاهقة، جعلت فيها البنوك. (المصارف المالية)، والبوسطات، (البرد) والكاسينوس (النوادي)، والتياتروس (المسارح) والتلغرافات، وغيرها من الأمور الحدثة. وجعل بمنتهاها كنيسة عجيبة الشكل، محكمة الصنع. ونقلت بسببها مصلى العيد إلى ما تحت باب العقلة، حيث بنيت بناء أحسن مما كانت عليه الأولى بمراحل وذالك في عام 1342. وقد ابتدئت في شعبان وأكملت في أوائل الحجة، من العام المذكور.

أما التوسعة، فابتدئ ببنائها عام 1331، إلى الآن وحتى الآن أي عام 1363. وسميت باللغة الإسبانية (شانتي)، أي التوسعة. وسمي كل زقاق (شارع) منها باسم مشهور"

عمدة الراوين : 1/204-205.

ساحة مولاي المهدي، سنة 1939: "ولن في تطوان حديقة...صادقة الاسم والوجه، بل ساحة بحديقة هي في نظري أجمل ساحات المدينة. إسمها ساحة مولاي المهدي.... ووجهها يمثل الإتقان والأناقة في الهندسة والتجميل في وسطها جنينة زاهرة، مفروشة مماشيها بالإسمنت، وبالمجالس المصنوعة منه على الطراز الروماني القديم؛ لا ثمر لها ولا جوانب. وحول الجنينة، عمد عالية من حديد، في رأسها مصابيح كهربية ضمن زجاجات كبيرة مستديرة، بيضاء غبراء، في كل عمود مصباحان وفي وسطها العمود الأكبر، يحمل حلقة من المصابيح، فتبدو في الليل بهجة للناظرين.

من هذه الساحة تتشعب الأسواق في كل جانب، كأنها في الشكل المصغر ساحة الأوبرا بباريس. ستة أسواق تمتد منها غربا وشرقا وجنوبا وشمالا، وما بينها. أما البنايات حولها، فهي كلها حديثة البناء والهندسة، من الطراز الذي تقدم ذكره، ذات طبقات متعددة للسكن. فالواقف في الساحة ليلا يرى أمامه كيفما اتجه بنظره صفوفا من الأنوار تنير الشوارع المكملة لجمالها وبهجتها.

كانت هذه الساحة ساحتي أيام إقامتي بتطوان.... هي في النهار جميلة بمشاهدها، كما هي جميلة في الليل بأنوارها. هي ولا مبالغة، منقطعة النظير ليس في تطوان فقط، بل في المغرب والمشرق..."

المغرب الأقصى،
لأمين الريحاني: 132.

ساحة مولاي المهدي، سنة 1939

"في ساحة (مولاي) المهدي، وقى الله اسمها، تشاهد الحمارة في مرحها وفرحها، في لهوها ولعبها، في بهجتها البريئة. هاهنا ساعة الغروب، تشاهد الصغار يلعبون ويرقصون يركضون ويمرحون وتسمعهم يزقزقون كالطيور ويغنون. الصغار مادة الحياة؛ تجيئهم طائعة، وتطيعهم صاغرة... إن الصغار في هذه الساحة، لأصحاب الفردوس الأرضي، ولا فردوس بعدهم في هذه الدنيا."

المغرب الأقصى: 134.

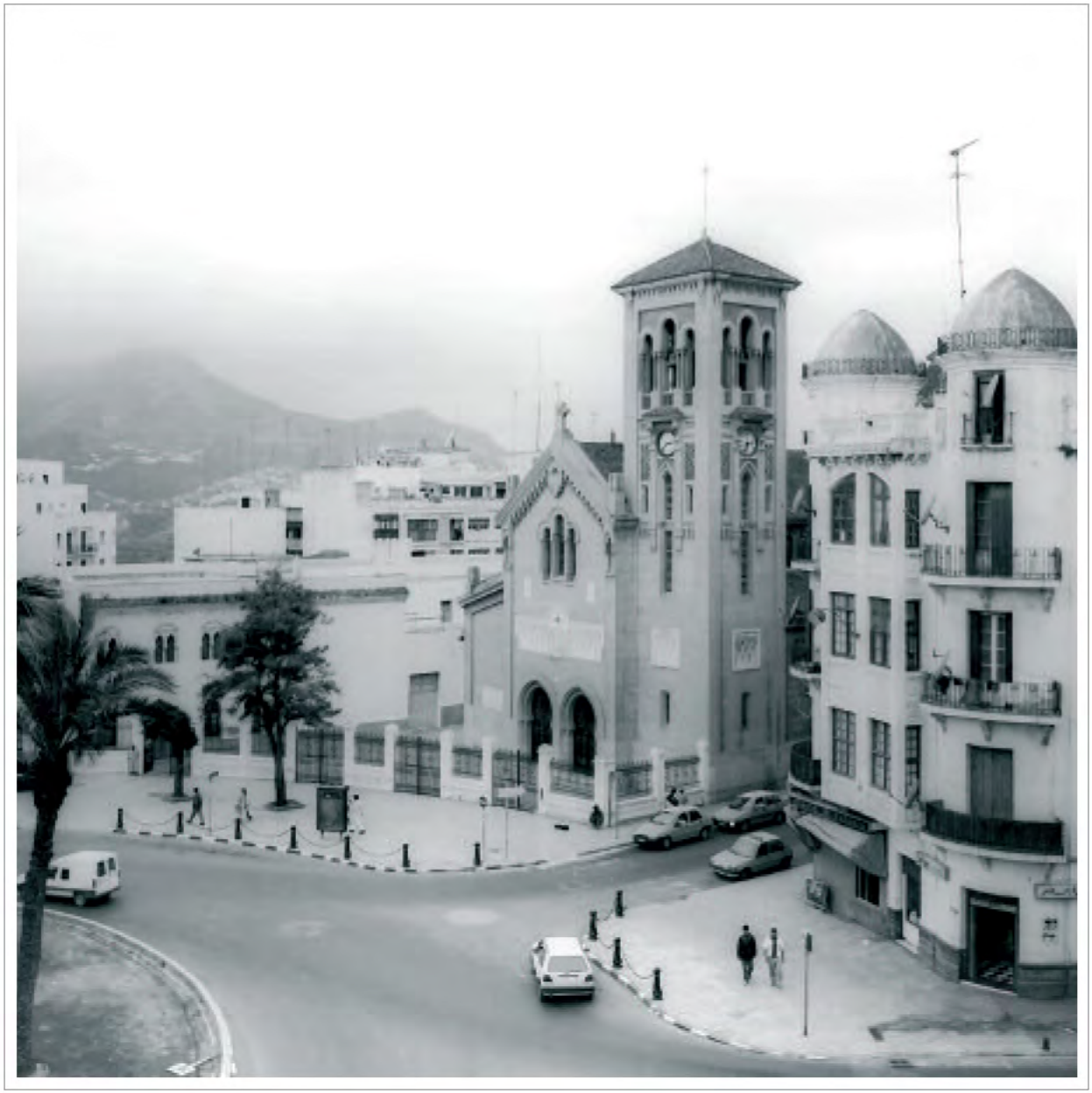

حومة سيدي عبيس وسيدي مصباح:

"الخامسة : حومة سيدي عبيس، وسيدي مصباح. وكانت مقسومة إلى قسمين : قسم خارج باب الرمون أسفل السور، حيث ضريح سيدي عبيس، وكان مختصا باسم حومة سيدي عبيس. وقسم داخل السور، مطل على القسم الأول كان مختصا باسم حومة سيدي مصباح، حيث ضريح الولي المذكور.

وهاكذا كانت العمارة متصلة إلى الموضع المسمى الآن عند المسلمين بالفدان وقد خلا ذالك كله وخرب وانهدم عام 1272، بسبب الطاعون الذي حدث هنا. وكمل بالخراب عام 1276، بسبب الاحتلال الإسباني لخروج جل سكان المدينة منها إلى البوادي.

أما حومة سيدي عبيس، فلا زالت خرابا إلى الآن وحتى الآن (أي ذي الحجة عام 1344، 1358. 1363). إلا ما حدث بقربها من محطة القطار الجاري ما بين تطاوون وسبتة، وديوانة الأعشار (والروض العمومي الذي أحيط بضريح سيدي عبيس، المسمى بروض العشاق). ولعل ذلك مبدأ عمارة جديدة تكون هنا. والله أعلم بما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون

وأما حومة سيدي مصباح، فقد رجعت إليها العمارة من جديد، في حدود عام 1300، إلى 1344، 1358، 1363، حتى صارت الآن كلها عامرة؛ ليس فيها خراب أصلا. لاكن أغلب سكانها يهود، ومعهم بعض النصارى"

عمدة الراوين: 204/1.

"لقد كانت مدينة تطوان مدينة صغيرة، وموقعها في أقصى الشمال المغربي وقد قدر الله فانفصلت بلاد الأندلس عن المغرب، واستقلت بحكم نفسها، كما سننفصل نحن عن بلاد الأندلس، ونستقل مع بقية المغرب بحول الله،... فبقيت تطوان فريدة في ناحيتها، بعيدة عن المسالك المطروقة، فلذالك لم يكن يسكن بها إلا أهلها، وقد أداروا بمدينتهم الأسوار العالية التي تفتح أبوابها الكبيرة صباحا، وتغلق مساء. وقد أحاطت بتطوان غروس وبساتين من ثلاث جهات."

محمد داوود، سنة 1940،

في: على رأس الأربعين : 21.

"والشارع الآخر يسمى باسم سيدي المنظري، باني هاذه المدينة بناءها الأخير وآخر سمي باسم الحاج محمد الطريس، المشهور بعدله واستقامة أحواله مع ربه، ومع جميع عباده، والمتوفي رحمه الله، عام 1326 بطنجة. وهاكذا".

عمدة الراوين : 205/1.

"إن الحي الجديد بتطوان يشكل حالياً قطعة حضارية نادرة ومتميزة، تلعب دوراً هاماً في مجموع المدينة، وتشكل حلقة وصل بين المدينة العتيقة والعمار الحديث، وهو بالتالي يمثل البصمة البارزة لتواجد الاسبان بشمال المغرب.
فعلا، إن المدينة الأوربية شيدت غرب المدينة العتيقة طبقاً لخطة موروثة من الطريقة التي كانت جالية المستعمر تنهجها لتعمير المناطق التي تستوطنها، وتقيم بها مراكزها الحضارية والإدارية والتجارية، ووفقاً لهندسة مستوردة من النماذج الثقافية الاسبانية".

"تطوان الحي الجديد. صانتشي 1913-1956"
خوليو مالو دي مولينا و فرناندو دومنيخث
ص 149-150.

شارع محمد الخامس الآن:

"فأولها وأحسنها، الشارع الكبير المسمى بزقاق ألفونسو الثالث عشر، نسبة لجلالة الملك (المعظم، العاهل المفخم)، ألفونسو الثالث عشر ملك إصبانيا العالي...

وقد وضع في ساحة هاذا الشارع، حجر فخيم، كتب عليه اسمه بغاية الاحترام... وسمي في عام 1931، بشارع الجمهورية الإسبانية".

عمدة الراوين : 205/1.

"طائر الفنكس"، في الأساطير الغربية، أو العنقاء، في الأسطورة العربية: وهو في الأسطورة رمز للخلود الإنساني والحياة بعد الموت. لكن، هل يهم أهل تطوان رمزية الطائر؟ بل لا يلتفتون إليه. إنما تعرف العمارة عندهم بـ"عمارة الطير"، وكفى.

"نوافذ تقابل نوافذ، وقبب تقابل قببا. التناسب في كل شيء. وهذا سر العمارة الأندلسية المغربية، وسر العمارة الإسبانية المدجنية، والمتأثرة بها."

شارع محمد الخامس الآن:

"إن المعمار التقليدي لهذه المرحلة الأولى، مابين سنة 1939 و1956، خلق إقامات بمحلات تجارية في طابقها الأرضي، والتي مازالت تحتل مساحة شارع محمد الخامس مابين ساحتي الحسن الثاني ومولاي المهدي. أما البنايات العمومية فقد صممها مهندسون بلديون، أمثال خولن ذي طاليفرا، طبعوها بطابعهم الخاص، وتميزت بكونها معالم شامخة ذات خاصيات معينة إذا ما قورنت بباقي الشبكة السكنية".

" تطوان، الحي الجديد. صانتشي 1913-1956"
خوليو مالو دي مولينا و فرناندو دومنيخث
ص 132.

MASTER

"إن الفترة الأولى (1917-1931) لتشييد الحي الجديد تتميز بانسجامها الهندسي المنبثق من نشاط المهندسين البلديين أوفيليو وكوبيريث ليسكورا اللذين استعملا أسلوباً مطابقاً للمناخ المعماري الإسباني، وهو أسلوب تقليدي عريق، تكثر فيه العناصر الزخرفية، المتأثرة شيئاً ما بتيارات آخر القرن التاريخية التجديدية، والتي رغم الوسائل والإمكانيات التقنية المحدودة، تخلق رونقة تتكرر فيها التعبيرات الزخرفية لتساهم في انسجام الجو التشكيلي العام.

يتعلق الأمر بهندسة ذات قيمة ذاتية جد محدودة، محافظة ثقافياً، امتيازها الوحيد أنها ولدت انسجاماً حضرياً: ارتفاعات، خطوط الإفرين، توازن الفراغات بتعامل وتفاعل محكم مع العناصر التي تشكل المنظر العام كالزوايا والواجهات والأبراج...إلخ. وهي بالتالي هندسة خاضعة لصرامة التشكيل التقليدي مع حفاظها على ثوابت، كاصطفاف الفجوات على شكل محاور عمودية ذات نسب طويلة، تبرز تمييزها على الأساليب الاختيارية التي طبعت نتاج الأربعينيات والخمسينات."

"تطور الحي الجديد. صانتشي 1913-1956"
خوليو مالو دي مولينا و فرناندو دومنيخث
ص 132-133.

"وبالجملة، فهي حومة جيدة، مبنية على الطراز الأوروبي الجامع بين حسن المنظر، وموافقة الطبائع، والاقتصاد في الصوائر، وغير ذالك من المحاسن العصرية."

عمدة الراوين : 205/1.

"ويبدو الحس الزخرفي بصورة جلية في الواجهات المشرفة على الشوارع الرئيسية، والساحات، والزوايا، والمنعرجات، وهذا ما يفسر حرص المهندسين المعماريين عند تعاملهم مع المنظر العام لهذه المنشآت.

صحيح أن هذا هو الأسلوب الذي يميز هذه الفترة، وبعبارة أخرى فربما هو نموذج التعامل المعماري الأكثر حضوراً، وخاصة في النواحي الشرقية للحي، وصحيح أنه تظهر بعض الأعمال المستوحاة من عناصر الأصالة الإسلامية الصميمة، وخاصة في الفترة الممتدة بين سنة 1939 و 1959."

" تطوان الحي الجديد. صانتشي 1913-1956"
خوليو مالو دي مولينا و فرنانذو دومنيخث
ص 132.

دليل لمواقع الصور الفوتغرافية

ص 7 : ساحة الفدان في الأربعينيات، أرشيف الوزارة المنتدبة المكلفة بالاسكان والتعمير.
ص 9 : صورة للأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي
ص 11 : مدرسة الممرضين سابقاً ذات الطابع المعماري الاسباني.
ص 13 : جزء من المدينة العتيقة تحت جبل درسة.
ص 15 : ساحة سوق الحوت.
ص 17 : جزء من المدينة العتيقة تحت جبل غرغين.
ص 19 : إحدى الثكنات الاسبانية القديمة.
ص 21 : منظر لسطوح المدينة العتيقة.
ص 23 : منظر لسطوح المدينة العتيقة حول مأذنة الزاوية الناصرية.
ص 25 : محيط باب المقابر
ص 27 : باب العقلة.
ص 29 : ساقية وراء باب العقلة الجانبي
ص 31 : باب النوادر
ص 33 : باب التوت.
ص 35 : زنقة سيدي علي بن ريسون ومدخل الخرازين.
ص 37 : زقاق بين الفنادق.
ص 39 : منظر للملاح البالي
ص 41 : صابات بدرب ركون
ص 43 : صابات بحي الصياغين.
ص 45 : قوس قديم بجوار الجامع الكبير
ص 47 : أقواس متميزة بالملاح القديم.
ص 49 : منظر لزقاق بالملاح القديم.
ص 51 : نافورة ماء بصحن الجامع الكبير
ص 53 : ساحة وساقية محاذيتين لجامع السوق الفوقي
ص 55 : أحد المصلين في سكينة بالجامع الكبير
ص 57 : مأذنة مسجد الزاوية القادرية.

ص 59 : مأذنة و قبب مسجد سيدي علي بن ريسون

ص 61 : مدخل ضريح الولي الصالح سيد السعيدي.

ص 63 : المدخل الرئيسي للزاوية الحراقية.

ص 65 : منظر لوسط دار الصنعة.

ص 67 : صحن دار بريشة.

ص 69 : سوق الصياغين.

ص 71 : سوق الصرافين بعد عملية التجديد.

ص 73 : منظر لفضاء دار الدبغ.

ص 75 : برج متلاشي بقصبة الذيب.

ص 77 : ضريح أندلسي بالمقبرة القديمة.

ص 79 : منظر للمقبرة اليهودية.

ص 81 : ساحة الفدان بعد التهيئة الأخيرة.

ص 83 : المدخل الرئيسي للمشور السعيد.

ص 85 : ساحة مولاي المهدي بالحي الإسباني.

ص 87 : منظر عام لنافورة ساحة مولاي المهدي.

ص 89 : الكنيسة الكبرى بساحة مولاي المهدي.

ص 91 : محطة القطار القديمة.

ص 93 : واجهات مباني بشارع محمد الخامس

ص 95 : مقر بنك المغرب بالحي الاسباني

ص 97 : منظر لشارع محمد الخامس

ص 99 : عمارة الكبير بساحة الجلاء.

ص 101 : واجهة عمارة بشارع الوحدة.

ص 103 : الطابع المعماري الاسباني بشارع محمد الخامس

ص 105 : بناية متميزة بالحي الاسباني

ص 107 : منظر لشارع يوسف بن تاشفين.

ص 111 : زخرفة من الحرز التطواني من كتاب "الحرز المغربي" لإزابيل دونامين منشورات فلاماريون باريس 2003

تشكرات

تومادر الخطيب، فاطمة أزناك، محمد بن عبود، جعفر ابن الحاج السلمي، عبد العزيز لهديوي، حسن المنصوري، عبد السلام الميتاري، نادية الرزيني، ميشال ناشف، محمد الصنهاجي الهادي لسمر، عبد الله كرل، الحسين لسمر

من منشورات مديرية الهندسة المعمارية
الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة
بالإسكان والتعمير
الرباط - المغرب

صورة الغلاف :
زخرفة من الخزف التطواني من كتاب
"الخزف المغربي" لإزابيل دوناميس منشورات فلاماريون
باريس 2003

إنجاز:
رضا كنون ومحمد لهيطة وسعيد ملين.

تنسيق إعداد الكتاب :
رضا كنون ومحمد لهيطة.
تحت إشراف : سعيد ملين.

رقم الإيداع القانوني : 2004/1869
الرقم الدولي المعياري للكتب :1-4-8357-9954

الطبع :
منشورات عكاظ 2005
الرباط - المغرب.

كل إعادة لطبع هذا الكتاب بطريقة أو بأخرى حالية أو مستقبلية، معروفة أو مجهولة هي مقبولة ومحمدة.

التراث ودوح الجمال

تطـــوان

رقم الايداع القانوني : 2004/1869
الرقم الدولي المعياري للكتب : 1-4-8357-9954